

غزة: العيش في مصيدة للموت

الملخص التنفيذي

أسفرت الحرب الإسرائيلية على غزة حتى الآن عن مقتل أكثر من 44,000 فلسطيني وإصابة أكثر من 105,000 وتشريد ما يقرب من 1.9 مليون إنسان أو 90 في المئة من السكان، وفقاً لوزارة الصحة في غزة. وذلك ردًا على الهجمات المروعة التي شنتها حماس وجماعات مسلحة أخرى في 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023، والتي قتل فيها 1,200 شخص وأخذ 251 رهينة¹، تقوم القوات الإسرائيلية بسحق مجتمع بأكمله تحت القنابل والأنقاض.

شهدت منظمة أطباء بلا حدود 14 شهرًا من الهجمات المتكررة على المدنيين، وتفكيك البنية التحتية المدنية الأساسية بما في ذلك مرافق الرعاية الصحية، والحرمان المنهجي من المساعدات الإنسانية، ما يدعم على ما يبدو حملة إسرائيل لفسخ النسيج المجتمعي في غزة. وعلى مدى أول 12 شهرًا من الأعمال القتالية، تعرّض موظفو أطباء بلا حدود إلى 41 هجومًا وحوادث عنف، بما في ذلك غارات جوية وقصف وتوغلات عنيفة في مرافق الصحة ونيران مباشرة على مراكز الإيواء خاصتها وقوافلها والاحتجاز التعسفي من قبل القوات الإسرائيلية. وقد قُتل ثمانية من طاقم أطباء بلا حدود والعديد من أفراد أسرهم، وأصيب الكثيرون غيرهم. واضطر الموظفون الطبيون والمرضى على حد سواء إلى إخلاء المرافق الصحية بشكل عاجل في 17 حادثة منفصلة، وغالبًا ما كانوا يركضون فعليًا للنجاة بحياتهم. ولم تتمكن أطباء بلا حدود من استئناف الأنشطة إلا في ثلاثة مرافق.

طوال العملية العسكرية، منعت القوات الإسرائيلية دخول المواد الأساسية كالغذاء والماء والإمدادات الطبية إلى القطاع. وكانت إما ترفض أو تؤخر أو تستغل المساعدات الإنسانية، وتسمح بدخول كميات ضئيلة من المساعدات إلى غزة مع تجاهل كامل للاحتياجات الفعلية ومستوى معاناة السكان. وقد اضطر آخر مستشفى للأورام في غزة إلى الإغلاق بسبب نفاذ الوقود في 1 نوفمبر/تشرين الثاني 2023. واضطرت فرق أطباء بلا حدود إلى إجراء عمليات جراحية دون تخدير كافٍ. وتزداد العواقب الضارة لهذه العوائق بسبب طبيعة هذه الحرب التي تُشن على منطقة محاصرة لا يستطيع أحد الهروب منها.

تسبب العنف الذي أطلقته القوات الإسرائيلية في أضرار جسدية ونفسية على نطاق من شأنه أن يُثقل كاهل أي نظام صحي فعال، ناهيك عن نظام دمره بالفعل هجوم مهلك وحصار دام 17 عامًا. واعتبارًا من منتصف أكتوبر/تشرين الأول، يعمل فقط 17 مستشفى من أصل 36 مستشفى في غزة بشكل جزئي²، على الرغم من أن القتال المستمر غالبًا ما يجعل المستشفيات بعيدة عن متناول أولئك الذين يحتاجون إليها. أما المستشفيات الـ 19 الأخرى فهي خارج الخدمة. وقد جعلت السلطات الإسرائيلية طلب الرعاية خارج القطاع غاية في الصعوبة. وبين إغلاق معبر رفح في أوائل مايو/أيار 2024 وسبتمبر/أيلول 2024، سُمح بإجلاء 229 مريضًا فقط - ما يعادل 1.6 في المئة من أولئك الذين كانوا بحاجة إلى الإجراء في ذلك الوقت.

ودفع النزوح القسري الناس إلى ظروف معيشية لا تطاق: فهم محشورون في خيام مؤقتة مصنوعة من الخردة، ويعانون من الحرمان من الماء والغذاء. وتشير الأمراض الرئيسية التي تلاحظها فرق أطباء بلا حدود التي تدعم الرعاية الصحية الأولية، كالأمراض الجلدية والتهابات الجهاز التنفسي العلوي والإسهال، إلى ظروف النظافة

¹ Source from Reuters – Available here

² WHO, oPt Emergency Situation Update Issue 48 – Available here

المروعة. كما تعطلت خطط التطعيم وأصبح خطر تفشي الأمراض حقيقيًا وقد ازداد الوضع سوءًا مع حلول أشهر الشتاء.

وحتى لو انتهت العملية العسكرية اليوم، فإن تأثيرها على المدى الطويل سيكون غير مسبوق، بالنظر إلى حجم الدمار والتحديات الفريدة لتنظيم الرعاية الصحية في غزة. فهناك مجتمع بأكمله بحاجة إلى إعادة بناء، مع وجود عدد هائل من جرحى الحرب الذين قد يحتاجون إلى سنوات من إعادة التأهيل، ومخاطر العدوى وبتر الأطراف والإعاقة الدائمة. وتمثل الصدمة النفسية الناجمة عن العنف وفقدان أفراد الأسرة والمنازل والظروف المعيشية الشاقة والنزوح المتكرر صدمة كبيرة وملحة ستمتد عبر أجيال.

سيزيد الأثر البيئي للحرب من تفاقم المخاطر الصحية على المدى الطويل. ويمكن تقدير عدد الوفيات الزائدة بسبب الحرب بما في ذلك تلك الناجمة عن انهيار الرعاية الصحية وسوء التغذية وتفشي الأمراض، بما لا يقل عن 186,000 وفاة (بما في ذلك 148,000 حالة وفاة غير مباشرة)، وفقًا لمجلة لانسيت³. ويكافح الناس في غزة من أجل البقاء على قيد الحياة، وهم محاصرون في منطقة حرب لا توجد فيها مساحة آمنة ولا مخرج في الأفق، ويعيشون في مصيدة للموت.

في شمال القطاع على وجه الخصوص، يعد الهجوم العسكري الأخير مثالًا واضحًا على الحرب الوحشية التي تشنها القوات الإسرائيلية على غزة، ونحن نشهد علامات واضحة على التطهير العرقي حيث يتم محو حياة الفلسطينيين من المنطقة. وتتوافق ملاحظتنا المباشرة للكارثة الطبية والإنسانية التي لحقت بغزة مع التوصيفات التي قدمها عدد متزايد من الخبراء القانونيين والمنظمات التي خلصت إلى أن هناك إبادة جماعية تحدث في غزة. وفي حين أننا لا نملك المرجعية القانونية لإثبات التعمد، فإن علامات التطهير العرقي والدمار المستمر - بما في ذلك القتل الجماعي، والإصابات الجسدية والنفسية الشديدة، والتهجير القسري، والظروف المعيشية المستحيلة للفلسطينيين تحت الحصار والقصف - لا يمكن إنكارها.

إنّ الهجمات على المدنيين وتفكيك نظام الرعاية الصحية والحرمان من الغذاء والماء والإمدادات هي شكل من أشكال العقاب الجماعي الذي تفرضه السلطات الإسرائيلية على سكان غزة. ويجب لهذا أن يتوقف.

نداءات عاجلة

- يجب تنفيذ وقف فوري ومستدام لإطلاق النار. ويجب أن يتوقف التدمير الكامل لحياة الفلسطينيين في غزة وجميع الأشياء التي تشكل نسيج المجتمع ذاته.
- يجب أن يتوقف التقنين المفرط والمخزي للمساعدات الإنسانية في قطاع غزة. ويجب على إسرائيل إنهاء حصارها لغزة وفتح الحدود البرية الضرورية، بما في ذلك معبر رفح، لضمان إيصال المساعدات الإنسانية والطبية على نطاق واسع. يجب على إسرائيل اتخاذ جميع الخطوات اللازمة لضمان وصول المساعدات المطلوبة بشكل عاجل إلى المحتاجين، بما في ذلك عن طريق وضع حد للإجراءات التي تعطل قدرات إنفاذ القانون داخل قطاع غزة.
- يجب على إسرائيل إلغاء قانونها الأخير الذي يحظر الأونروا وضمان قدرة الوكالة على مواصلة دورها الحيوي في دعم السكان. ويجب إعادة بناء القدرات المحلية المتبقية في غزة وتعزيزها.

³ Computation based on numbers dating from 19 June 2024. Counting the Dead in Gaza: Difficult but Essential | The Lancet - Khatib,

- يجب أن ينتهي النزوح القسري. ويجب السماح للناس في غزة بالتنقل بحرية، بما في ذلك العودة إلى مناطقهم الأصلية، واستعادة قدراتهم المعيشية. ويجب على السلطات الإسرائيلية تسهيل إجلاء أولئك الذين يحتاجون إلى رعاية متخصصة أو أولئك الذين يلتمسون اللجوء خارج غزة بالمغادرة، مع ضمان حقهم في العودة الآمنة والطوعية والكرامة.
- في يناير/كانون الثاني 2024، أمرت محكمة العدل الدولية إسرائيل بتنفيذ تدابير مؤقتة لمنع أعمال الإبادة الجماعية في غزة. وعلى الرغم من ذلك، لم يتم اتخاذ أي إجراء لتلبية هذه التدابير. وتتماشى ملاحظات منظمة أطباء بلا حدود المباشرة مع ملاحظات عدد متزايد من الخبراء القانونيين والمنظمات القانونية، التي خلصت إلى أن هناك تطهير عرقي وإبادة جماعية يحدثان في غزة. وتدعو منظمة أطباء بلا حدود الدول، ولا سيما أقرب حلفاء إسرائيل، إلى إنهاء دعمها غير المشروط لإسرائيل والوفاء بالتزامها بمنع الإبادة الجماعية في غزة. ويجب على الدول تسخير نفوذها للتخفيف من معاناة السكان وتمكين توسيع نطاق المساعدات الإنسانية في قطاع غزة.
- تجدد أطباء بلا حدود دعوتها لإجراء تحقيق مستقل للوقوف على الحقائق والمسؤوليات وراء الهجمات المتكررة على فرق منظمة أطباء بلا حدود ومرافقها، والتي أسفرت عن مقتل ثمانية من زملائها والعديد من أفراد أسرهم. وتمتد هذه الدعوة أيضًا لتشمل التحقيق في هجمات أخرى على العاملين في المجال الإنساني والطواقم الطبية.